المحاضرة الأولى:

أوضاع المغرب الأوسط أواخر القرن ١٥م وبداية القرن ١٦م

عرف المغرب الإسلامي كغيره من بلدان العالم الإسلامي، قيام عدة دول ولعل الدولة الموحدية إحدى أهم الدول التي قامت في بلاد المغرب خلال القرن ٦هـ. وكانت تهدف إلى تحقيق وحدة إسلامية شاملة. تعود بالمسلمين إلى عصر الخلفاء الراشدين شعارها في ذلك "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، تأسست على يد محمد بن عبد الله ابن تومرت.

عرفت الدولة الموحدية بالقوة والعظمة حيث تمكنت من تحقيق وحدة المنطقة من خلال بسط نفوذها لفترة طويلة على أقطار واسعة من بلاد المغرب الإسلامي والأندلس فلقد بلغت الدولة أوج اتساعها، حيث امتدت من منطقة طرابلس (برقة شرقا) إلى المحيط الأطلسي غربا ومن ساحل البحر المتوسط والأندلس شمالا إلى الصحراء جنوبا وقد نعمت بلاد المغرب في ظل حكم دولة الموحدين بجو من الاستقرار السياسي حيث وصلت دولتهم إلى مستوى عاليا من القوة والفضل يعود للجيش الموحديالذي لعب دورا كبيرا في الحفاظ على استقرار الدولة وسيادتها سواء في المغرب أو الأندلس.

عرف المغرب أزهى عصوره الحضارية في عهدها، حيث نشطت الحياة الفكرية بسبب الجهود التي قام بها الموحدون من أجل ازدهار الحياة العلمية وتنشيطها وإثرائها بالمغرب الإسلامي فعرفت بغزارة إنتاجها العلمي الأمر الذي أكسبها تطورا ورقيا في مختلف العلوم، هذا بالإضافة إلى ازدهارها الاقتصادي الذي ساد ربوع أقطارها.

وما لبث أن أخذت الدولة الموحدية تتهاوى بسرعة وتسير نحو السقوط

بسبب الفتن والتمردات الداخلية وضعف شخصية الحكام وصراعهم على الحكم، الأمر الذي أدي في النهاية إلى سقوطها وسقوط الحكم الإسلامي بالأندلس بعد الصراع الإسلامي النصراني. وكان ذلك في موقعة العقاب الشهيرة عام ١٢١٢م، وهي تعتبر نقطة تحول في مصير الوجود الإسلامي في الأندلس، فهي بداية لنهاية المسلمين في الأندلس وبداية لمرحلة الضعف والتشتت للمسلمين في المغرب الإسلامي والتناحر فيما بينهم فدب الضعف في كيانها وزادت الفتن والاضطرابات والانقسامات الداخلية خاصة بين أمراء القبائل البربرية في الشمال الإفريقي، مما أدى إلى انقسام السلطة في المنطقة وجاء ذلك كنتيجة لانهيار دولة الموحدين حيث برزت على إثرها ثلاث دويلات مستقلة في شمال إفريقيا وهي: الحفصية في المغرب الأدنى بتونس، ودولة بني زيان في المغرب الأوسط واتخذوا من مدينة تلمسان مقرا لهم ودولة بني مرين في المغرب الأقصى.

كانت دولة بني عبد الواد (المغرب الأوسط) أضعف الدول الثلاث لكونها لا تمتلك مقومات وأسسا تاريخية أو مقومات حضارية أو قاعدة اقتصادية مثل المملكة الحفصية في تونس، أو القوة البشرية لبني مرين، ويرجع سبب ضعفهم إلى اتكالهم وربط مصيرهم بمصير الموحدين لاسيما أيام الاضطرابات والغارات التي شنتها ابنغانية في المغرب الأدنى والأوسط أواخر القرن ١٢م وبداية القرن ١٣م.

إن غياب السلطة المركزية القوية في المغرب الأوسط، جعل المنطقة مسرحا لفوضى القبائل الغازية وحتى المحلية التي عاثت فيه فسادا وخرابا "ظهور حركات انفصالية" هذا بالإضافة إلى فتح الشهية أمام المطامع الأوروبية

التي بدأت تظهر وتتزايد رغبة منها في السيطرة على الشمال الإفريقي، وكانت أولى الاعتداءات الأوروبية هو هجوم جمهورية جنوة على طرابلس الغرب عام ١٣٥٤م ذلك طمعا في السيطرة على تجارة إفريقيا. ثم توالت الحملات الأوروبية على إفريقيا نتيجة لضعفها السياسي فتزعمت ذلك كل من إسبانيا والبرتغال اللتان قامتا باحتلال المنطقة لأسباب مختلفة.

لقد تميزت العلاقات بين الدويلات الثلاث المستقلة بالتطاحن واللاستقرار والصراعات المستمرة بسبب أطماعهم التوسعية. هذا ما نتج عنه ضعف الدويلات الثلاثة خاصة الزيانية التي عرفت ظروفا داخلية غير مستقرة، فقد ظل عرش الدولة الزيانية مهدد من طرف قوى خارجية كالمرينيين في الغرب بالمغرب الأقصى هؤلاء الذين هاجموا واحتلوا تلمسان، بينما احتل الحفصيون قسنطينة في الجزء الشرقي من المملكة. الأمر الذي عرقل ظهور دولة قوية ذات سلطة مركزية محكمة بالمغرب الأوسط مع بداية القرن ١٥م. مما جعل المنطقة أكثر عرضة للخطر الخارجي خاصة إسبانيا التي تمكنت من التحرش بسواحلها ومن ثمة التخطيط لاحتلالها وبذلك دخلت الدولة الزيانية في صراعات جديدة ومريرة مع الصليبين.

أوضاع شبه الجزيرة الإيبيرية خلال القرنين ١٥و١٦م:

في الوقت الذي عرفت فيه بلاد المغرب الإسلامي ضعفا وتفككا وتراجعا في جميع المجالات، كان الأوروبيون يعيشون نهضة وانتعاشا، حيث عرفوا كشوفات جغرافية وثورة اقتصادية وتوسع لحركة استعمارية ومبادلات تجارية، وقد تزعمت الدول الغربية كل من إسبانيا والبرتغال فهما السبقتان لحركة التوسع الاستعماري. فالبداية كانت للبرتغاليين الذين انطلق مشروعهم البحري التوسعي

من أجل إيجاد طريق بديل يقودهم إلى مصادر الثورة في الشرق بالمرور على سواحل غرب إفريقيا فاحتلوا مدينة سبتة المغربية عام ١٤١٥ ومنها واصلوا مشروعهم التوسعي نحو بلاد الشرق وبلاد السودان إلى أن وصلوا إلى رأس الرجاء الصالح عام ١٤٨٧.

أما إسبانيا فقد أصبحت قوة بعد توحيد المملكتين الأكبر في شبه جزيرة وهما قشتالةوالأراغون عام ١٤٧٤ بعد زواج الملكين فرديناند ملك الأراغون وإيزابيلا وارثة عرش قشتالة التي مات أخوها الملك فورثت العرش بعدها تم توحيد مملكتهما وجهودهما من أجل القضاء على الإسلام نهائيا في الأندلس وشمال إفريقيا جاعلين من الحرب على الإسلام وتخليص ما تبقى من أراضي شبه الجزيرة الإيبيرية من بقاياهم وانتزاع تجارة الشرق من أيديهم من أبرز أهدافهما. هذا بالإضافة إلى رغبتهما الجامحة في القضاء على قوة المسلمين الاقتصادية.

لقد كان التنافس على أشده بين إسبانيا والبرتغالخلال القرن ١٥م حول احتلال منطقة المغرب الإسلامي، فالصراع بين الدولتين كاد أن يؤدي إلى حرب فيما بينهما غير أن البابا تدخل في الأمر لوضع حدا للخلافات القائمة بينهما حول رغبة التوسع على سواحل المغرب العربي وتم عقد معاهدة تورد سيلاس (Torde sillas)عام ١٤٩٤ بين إسبانيا والبرتغال حيث حدد حجر بادس كفاصل بينهما تفاديا للصراع بين الدولتين وقد تم بموجب المعاهدة تقسيم المستعمرات، بحيث كانت الأقاليم الشرقية من نصيب البرتغال أما الجهة الغربية فهي من نصيب إسبانيا، ثم جاءت معاهدة أخرى عرفت بمعاهدة فيلافرنكا سنة ١٥٠٩ أخذت على إثرها إسبانيا الجهة الشرقية من إفريقيا (الجزائر، تونس،

طرابلس) أما البرتغال فله الجهة الغربية بالمغرب الأقصى. وبهذا تكون قد تقاسمت كل من إسبانيا والبرتغال مناطق النفوذ في سواحل المغرب الأوسط بمباركة الكنيسة الكاثوليكية وما لبث أن باشرت إسبانيا باحتلال سواحل المغرب الأوسط معتبرة هذا التدخل امتدادا للحروب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين التي بدأتها في الأندلس وهي تلك الحروب التي أطلق عليها الإسبان اسم حرب الاسترداد وهدفها هو استرداد الأندلس المفقود وتوحيد أوروبا المسيحية والقضاء على الخطر الإسلامي في كل مكان.